التشبيه التمثيلي دراسة تحليلية تاريخية

***رنا بليق**

أستاذ مساعد في كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الجامعة العالمية – لبنان.

*البريد الإلكتروني: ranableik1@gmail.com

الاستلام	2023/9/2	المراجعة	2023/9/25	القبول	2023/10/15	النشر	2023/11/1

الملخص:

التشبيه التمثيليّ من أهم أبواب البيان، وهو من أنجع الأساليب والطرق لجذب القارئ واستمالته، إذ به تزداد المعاني البعيدة وضوحًا، في جوٍّ مُفعَم بالتصوير والخيال، بحيث تصبح الدلالات الحسية والمعنوية والخيالية متعانقة، فتتحرك النفوس إليه، وتتمكَّن المعاني عند مَن يعي حقيقتها، تتجلى فيه شتى المواقف الحياتية والعواطف الإنسانية. في هذا البحث تسليط الضوء على التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم الذي هو أعلى البلاغة، والحديث النبويّ الشريف وتطوّره من العصر الجاهليّ حتى العصر العباسيّ في الشعر العربيّ، وتأثيره في فهم النصوص، وبيان خصائص التمثيلات في كلّ منها بذكر أمثلة منها وشرحها، وإظهار جماليَّاته وأغراضه، إذ الغالب فيه دقة التصوير وتقريب المعاني وإكساب النص الأدبي التجدد والحيوية بسبب الامتزاج بين الواقع والخيال، ويستفاد منه أمور منها تقريب المحسوس وإبراز المعقولات في معرض المحسوسات الجلية. وقد تجيء التمثيلات تارة محمَّلة بالحكمة والعلم، وتارة ببعض المعاني الإنسانيَّة، وتارة تجدها مجرد خيال وإمتاع للحسّ الشعري عند الشاعر والمتلقي المتذوِّق للجمال الفنيّ، واعتمدت في بيان هذا كله على المنهج الاستقرائي والتحليلي.

الكلمات المفتاحية:

التشبيه-التمثيل-الصور-المعاني- الخيال.

Representative Analogy: Historical Analytical study

Rana Baleq *

Assistant Professor at the Faculty of Arts and Human Sciences – International University – Lebanon.

*Email: ranableik1@gmail.com

Received	2/9/2023	Revised	25/9/2023	Accepted	15/10/2023	Published	1/11/2023

Abstract:

The use of representative analogy is an exceptionally effective approach for engaging and captivating readers. By employing distant meanings, these analogies enhance clarity and foster an atmosphere of imagination, enabling the reader to embrace sensory, moral, and imaginative connotations. Consequently, the understanding of texts is deepened, and the characteristics of the representations within them are instilled .

This research explores the evolution of representative analogies in the Holy Quran, prophetic Hadith, and Arab poetry, spanning from the era of ignorance to the Abbasid age. It investigates the impact of these analogies on textual comprehension, as well as their aesthetic and intentional aspects. It becomes evident that representative analogies can embody wisdom, knowledge, and diverse human meanings, serving as both sources of poetic pleasure for the poet and recipients of artistic beauty.

Key words:

Analogy, representation, images, meanings, imagination.

المقدمة:

علم البيان صاحب الحظوة السّامية الرّاقية، والمقام الرّفيع المهيب، والشأو المرموق الشّامخ بين أترابه من فنون البلاغة، ويكفيه مزية وفضلًا كونُه الوسيلة التي تجلو معاني الصّور البيانيّة الواردة في كلام العرب، وتنثر جواهرها وتستقرئ دلالاتها وتستنبط مقاصدها ومرامها، فما هي مكانته ومنزلته والحال أنّه يميط اللّثام ويكشف النّقاب عن باب عظيم من أبواب الإعجاز في القرآن الكريم. وأحد أهمّ أبواب هذا العلم وأرفعها فنّ التشبيه، فيه أكثر الصّور الأدبية حضورًا وأقواها تأثيرًا وأحسنها، وأرغبها للنفوس وأقربها، فنال بذلك السّيادة والرّيادة، وحصّل المكانة الرفيعة والدّرجة العليّة، حتى قيل: "التّشبيه جار كثيرًا في كلام العرب حتّى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم لم يُبعِد"[1].

1. إشكالية البحث:

يهدف هذا البحث إلى حلّ الإشكاليات الآتية:

-ما تأثير التشابيه التمثيلية في بلاغة وفهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية؟

-كيف تطوَّر استعمال التشابيه التمثيلية تاريخيًّا من العصر الجاهلي حتى العباسي؟

- كيف تتأثر النصوص الأدبية بجماليات التشبيه التمثيلي؟

2. الدراسات السابقة:

قلَّ من أفرد التشبيه التمثيلي بمصنَّف خاص إنما ذُكِر في كتب البيان، ومما صُنِّف فيه:

-التشبيه التمثيلي في الصحيحين لفاطمة سالم صالح، رسالة ماجستير.

-مصطلح التشبيه التمثيلي دراسة تأصيلية لزكريا قصاب.

-التشبيه التمثيلي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على سورة البقرة لأسماء السيد السيد شعبان.

3. أهمية موضوع البحث:

تتضح أهميَّة دراسة التشبيه التمثيلي الوارد في الكتاب العزيز والسنة النبوية والشعر العربي حتى العصر العباسي في ما يأتي:

1. إنّ التفهّم والتدبر لما حواه كتاب الله من تشبيهات من أهم الأسس التي يعتمد عليها المفسرون؛ هي تشبيهات لا نظير لها تجلي الحقائق بأوضح بيان وأحسن أسلوب، وهي عند التمعّن تجدها ترمي إلى معانٍ عظيمة.
2. إنَّ أهمية هذا البحث نابعة من أهمية موضوعه وهو التشبيه الذي يزيد المعنى وضوحًا ويكسبه تأكيدًا؛ وقد جاء عن القدماء وأهل الجاهلية من كلِّ جيل ما يُستدَلّ به على شرفه وفضله وموقعه من البلاغة بكلّ لسان.

4. أسباب اختيار الموضوع:

1. ندرة المصنفات المفردة في التشبيه التمثيلي عمومًا لقلة مَن اشتغل بذلك، فإننا نجده في كتب البلاغة بأمثلة مكرَّرة في الغالب، فأردت أن أقدِّم لطلاب العلم بحثًا متخصِّصًا بهذا النوع البلاغيّ يُظهر وقوعه في كتاب الله وأحاديث رسوله ﷺ، وفي أشعار العرب.

2. إنَّ موضوع التشبيهات التمثيلية الواردة في القرآن الكريم خصوصًا لا يزال بحاجة إلى مزيد جمع لما فيها من العظات، ولما فيها من البلاغة الفائقة، ونجدها متفرقة في كتب التفسير، فحاولت أن أذكر ما استطعت جمعه منها وبيانه.

5. صعوبات العمل:

من أبرز الصعوبات في بحثي هذا قلَّة المراجع المتخصصة فيه، فاحتيج إلى الكثير من التقميش في كتب البلاغة وكتب التفسير وكتب الأحاديث وتفسيرها ودواوين الشعراء وأشعار العرب في محاولة لجمع ما استطعت من هذا التراث الضخم. نعم تجد الكثير من الآيات والأحاديث والأشعار المشتملة على التشبيه التمثيلي، لكن دراستها وبيانها وبيان جمالية التشبيه فيها لم أجد مَن صنف فيه.

6. أهداف البحث:

من الأهداف الأساسية التي أرغب في تحقيقها:

1. إبراز جمالية التشابيه التمثيلية في كتاب الله وفي الأحاديث النبوية وأشعار العرب.

2. إغناء المكتبة العربية بأبحاث متخصصة غير مطروقة.

7. منهجية البحث:

اعتمدتُ في بحثي على منهجين:

1. المنهج الاستقرائي حيث جمعت الكثير من أمثلة التشبيه التمثيلي، مراعية الترتيب الزمني في أشعار العرب من الجاهلية حتى العصر العباسي.
2. المنهج التحليلي التفسيري، لبيان معاني الألفاظ اللغوية الواردة وتوضيح معاني التشبيهات التمثيلية الواردة في البحث.

8. خطة البحث:

البحث يتألف من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهرست المصادر والمراجع:

- المقدمة فيها:

-1 إشكالية البحث.

-2 الدراسات السابقة.

-3 أهمية موضوع البحث.

-4 أسباب اختيار الموضوع.

5- صعوبات العمل.

6- أهداف البحث.

7- منهجية البحث.

8- خطة البحث.

- والتمهيد يشتمل على بيان حد التشبيه التمثيلي وأهميته.
- المبحث الأول: التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم.
- المبحث الثاني: التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي.
- المبحث الثالث: التشبيه التمثيلي في الشعر العربي.

وأختم المبحث الثالث ببيان أغراضه وجمالياته.

- وخاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات.
- فهرست المصادر والمراجع.

التمهيد:

أصل لفظة التّشبيه في اللّغة ترجع بجميع صيغها وأحوالها إلى التّمثيل والمماثلة، فالتّشبيه في اللغة: التّمثيل[1]، وفي الاصطلاح: صفة الشّيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته، لأنّه لو ناسبه مناسبة كليَّة لكان إياه[2]، فمثلًا قولهم: "خدّ كالورد" أي في حمرته، لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه وخضرة كمائمه، وكذلك قولهم: "فلان كالبحر" إنما يريدون كالبحر سماحة ولا يريدون ملوحة البحر. أمّا التشبيه التمثيليّ فقد كان مفهومه عامًّا واسعًا عند المتقدمين من علماء البلاغة؛ إذ أطلقوه على كثير من الصّور البيانيّة كالاستعارة والمجاز والكناية والتّشبيه الاصطلاحي، ولم يجعلوه نوعًا خاصًّا بعينه له خصائصه ومقوماته التي يرتكز عليها، وأسسه ومبادئه التي يتميز بها. وكانت بداية استقلال هذا المصطلح بذاته واتضاح أصوله وقواعده مع شيخ البلاغة وفارسها عبد القاهر الجرجاني[3]، ثم

أبي يعقوب السّكاكي[1]، ثم جلال الدّين القزويني[2]، وكان لهؤلاء الأعلام اليد الطولى في هذا الفنّ بما استفاضوا فيه من الكلام عن مسائل التّمثيل وفروعه.

وقد قيل في بيان حدّه أقوال كثيرة منها ما ذهب إليه الجرجاني من أنَّ تشبيه التمثيل هو تشبيهٌ من طريق العقل، أمّا الواقع في العيان وما يُدركه الحسّ فهو التشبيه الصريح[3]، فالتشبيه التمثيليّ عنده محصور في كلّ تشبيه كان وجه الشبه فيه عقليًّا سواء أكان مفردًا أو مركَّبًا. وذهب السكاكيّ إلى أن التشبيه متى كان وجهه وصفًا غير حقيقي وكان منتزعًا من عدة أمور خُصّ باسم التمثيل[4]. وذهب القزويني إلى أنَّ التّمثيل ما كان وجه الشّبه فيه وصفًا منتزعًا من متعدِّد أمرين أو أمور[5]، والتّشبيه غير التّمثيلي ما كان وجه الشّبه بخلاف ذلك[6]، فمفهومه للتمثيل يختلف عن مفهوم عبد القاهر والسكاكي، غير أنَّه أوسع المفاهيم وأخفّها وأيسرها لعنايته بالتركيب كقرينة هامة في التمثيل.

إنَّ التشبيه التمثيلي شكلٌ من أشكال التعبير البياني يجذب المتلقي إلى سماعه، وقد برز هذا الأسلوب البلاغيّ في القرآن الكريم وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت تمثيلاته ولا تزال موردًا للبليغ ومعينًا للخطيب وحقلًا خصيبًا للغويّ كما برزت في أشعار العرب.

المبحث الأول: التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم.

إنَّ التمثيل في القرآن يأخذ بالألباب والقلوب لما في ألفاظه من دقة، بها يقوى المعنى ويثبت ويبرز للعيان. ويستفاد منه أمور كثيرة كالوعظ والحثّ والزجر والاعتبار، وتقريب المحسوس، ولا يخفى ما للحجة المؤيدة بالبيان من التأثير في المتلَقّين وإقناعهم.

من ذلك قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الجمعة/5 فالمراد تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة، وتساوي الحالتين عنده مِن حَمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الأحمال، لا يشعر من ذلك إلا بما يمر بدَفَّيه من الكد والتعب[7]، فكذلك الذين أوتوا التوراة التي فيها بيان أمر محمد صلَّى الله عليه وسلم، مثلهم إذ لم ينتفعوا بما فيها كمثل الحمار الذي يحمل أسفارًا فيها علم، فهو لا يعقلها ولا ينتفع بها[8].

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ الكهف/45 أي واضْرِبْ للمشركين، شُبِّه ما في الدنيا من الزينة والزهرة بماءٍ أُنزِل مِنَ السَّماءِ وهو المطر، والماء إذا دخل في الأرض ينبت به النبات، فنبت وحسن، ثمَّ أرسل الله آفة فأيبسته، فصار يابسًا متكسِّرًا بعد حسنه، ثمَّ ذرته الرياح كالرماد ولم يبق منه شيء، فكذلك الدنيا في فنائها وزوالها تهلك[9] فهو تشبيه كيفية بكيفية[10].

ومنه قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة/20. شُبِّهت حال المنافقين في حيرتهم وما خبطوا فيه من الضلالة وشدة الأمر عليهم وخزيهم وافتضاحهم بحال من أخذته السماء في ليلة مظلمة مع صورة الرعد الهائل والبرق الخاطف والخوف من الصواعق والموت، فإنك تتصور الهيئة الحاصلة من تفاوت تلك الصور وكيفياتها فيحصل في النفس منه ما لا يحصل من المفردات[1].

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يونس/24. شُبِّهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطامًا بعدما التفّ وتكاثف وزيَّن الأرض بخضرته[2].

ومنه قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ البقرة/17، والمقصود من ذكر المثل أنه يؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه؛ لأنَّ الغرض من ضرب المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد[3] أي أنَّ حال المنافقين في نفاقهم وإظهارهم خلاف ما يسترونه من كفر كحال الذي استوقد نارًا ليستضيء بها ثم انطفأت فلم يعد يبصر شيئا[4].

ومنه قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة/261 شُبِّه مَن ينفق قليلًا في سبيل الله ثم يلقى عليه جزاء جزيلًا بحال من بذر حبة فأنبتت سبع سنابل في كلّ سنبلة مائة حبة، ووجه الشبه هو صورة من يعمل قليلًا فيجني من ثمار عمله كثيرا[5]، فوجْهَ الشَّبَه صورة منتزعة من متعَدّد[6].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ النور/39، إنَّ الله سبحانه وتعالى بيَّن أن الكافر يكون في الآخرة في أشدّ الخسران. فأعمال الكفار كسرابٍ بِقِيعةٍ، والسراب ما يتراءى للعين لاصقًا بالأرض كأنه ماء جارٍ نِصفَ النهار[7] وليس بماء، ولكن الذي ينظر إليه من بعيد يظنه ماء جاريًا، وأما القيعة فهو جمع قاع، والقاع أرض سهلة مطمئنة واسعة مستوية[8]. وجه الشبه أنَّ الذي يأتي به الكافر إن كان من أفعال البر فهو لا يستحق عليه ثوابًا، مع أنه يعتقد أنَّ له ثوابًا عليه، وإن كان من أفعال الإثم فهو يستحق عليه عقابًا مع أنه يعتقد أنه يستحق عليه ثوابًا، فإذا وافى مواقف القيامة، ولم يجد الثواب بل وجد العقاب العظيم عظمت حسرته وتناهى غمّه، فيُشبَّه حاله بحال الظمآن الذي تشتد حاجته إلى الماء، فإذا شاهد السراب تعلّق قلبه به، ورجا به النجاة وقوي طمعه، فإذا جاءه وأيس مما كان يرجوه فيعظم ذلك عليه، وهذا المثال في غاية الحسن[9].

ومنه قوله تعالى:﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ[1] مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ النور/35 أُريد وصف الضوء الكامل الذي يلوح وسط الظلمة؛ لأنّ الغالب على أوهام الخلق وخيالاتهم الشبهات التي هي كالظلمات، وهداية الله تعالى كالضوء الكامل الذي يظهر فيما بين الظلمات، فهداية الله تعالى قد بلغت في الظهور والجلاء إلى أقصى الغايات، وصارت في ذلك بمنزلة المشكاة التي تكون فيها زجاجة صافية، وفي الزجاجة مصباح يتَّقد بزيت بلغ النهاية في الصفاء، فالمصباح إذا لم يكن في المشكاة تفرَّقت أشعته، وإذا كان في زجاجة صافية فإنَّ الأشعة المنفصلة عنه تنعكس من بعض جوانب الزجاجة إلى البعض، لما في الزجاجة من الصفاء والشفافية، فيزداد الضوء والنور، ثم إنَّ ضوء المصباح إذا كان بزيت زيتونة بارزة للشمس في كلّ حالاتها صار خالصًا كاملًا[2]. وهذا التشبيه التمثيليّ العجيب الذي تضمَّنتْه الآية فيه من الأسرار والمعاني ما تقرّ به العيون وتبتهج به القلوب.

ومنه قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ العنكبوت/41، هو البيت ينبغي أن يكون له أمور منها: حائط، وسقف مظل، وباب يغلق، وغير ذلك، وإن لم يكن كذلك فلا بد من حائط حائل يمنع من البرد أو سقف مُظلٍّ يدفع عنه الحر، فإن لم يحصل منهما شيء فهو كالبيداء، ليس ببيت، وبيت العنكبوت لا يُجِنُّها ولا يُكِنُّها، وكذلك المعبود بحق يكون هو الخالق الرازق، وبه جرّ المنافع وبه دفع المضار، فكما لم يحصل للعنكبوت باتخاذ ذلك البيت من معاني البيت شيء، كذلك الكافر لم يحصل له باتخاذ الأوثان أولياء من معاني الأولياء شيء[3].

المبحث الثاني: التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي.

إنّ نصوص الحديث النبوي ترتفع إلى مراتب عليا من البلاغة والبيان، ففيها من بديع الوصف وجمال الصورة المعبرة عن المعنى بدقة وشموليَّة ما فيها، وقد اشتملت بعض الأحاديث النبويَّة على التشبيه التمثيليّ من ذلك:

أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: (أرأيتُم لو أنَّ نهرًا ببابِ أحدِكم يغتسِلُ فيه كلّ يوم خمسًا، ما تقول: ذلك يبقي من دَرَنِه" قالوا: لا يُبقِي من دَرَنه شيئًا، قال: «فذلك مثلُ الصلوات الخمس، يمحو الله به الخطايا)[4] شبَّه على وجه التمثيل حال المسلم المقترِف لبعض الذنوب المحافظ على أداء الصلوات الخمس في زوال الأذى عنه وطهارته من أقذار السيئات بحال المغتسل في نهر على باب داره كلّ يوم خمس مرات في نقاء بدنه من الأوساخ وزوالها عنه[5]. والمراد بالخطايا الصغائر[6].

وقوله صلَّى الله عليه وسلم: (مَثَلُ ما بعثَني الله به من الهدى والعلم، كمَثَل الغَيثِ الكثيرِ أصاب أرضًا، فكان منها نَقِيّةٌ، قبِلت الماءَ، فأنبتت الكلأ والعشبَ الكثير، وكانت منها أجادبُ[7]، أمسكت الماءَ، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقَوا وزرعوا، وأصابت منها طائفةً أخرى، إنما هي قِيعانٌ لا تُمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثلُ مَن فقُه في دين الله، ونفَعَه ما بعثني اللهُ به فعَلِم وعلَّم، ومَثَلُ مَن لم يرفعْ بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذي أُرسِلت به)[8] شُبِّهتْ صفةُ العلم الواصل

إلى أنواع الناس من جهة اعتبار النفع وعدمِه بصفة المطر المصيب أنواع الأرض من تلك الجهة[1]. القسم الأول مَن انتفع بالعلم ونفع به وهو العالم العامل المعلِّم، شُبّه بأرض قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب، فانتفعت ونفعت غيرها، ووجه الشبه هنا هو الهيئة الحاصلة من قبول المحل لما يَرد عليه من الخير مع ظهور أماراته وانتشارها على وجه عام الثمرة متعدي النفع، والقسم الثاني من الناس هو الجامع للعلم المعلم لغيره، لكنه لم يعمل بنوافله، كالأرض التي يستقرُّ فيها الماء فينتفع الناس به، والثالث مَن لم يرفع بذلك رأسًا أي تكبَّر ولم يلتفت إليه من غاية تكبره، وهو مَن دخل في الدين ولم يَسمع العلم أو سمِعه فلم يعمل به ولم يعلمه، فهو كالأرض السَّبَخة التي لا تقبل الماءَ وتفسده على غيرها، ولا يخفى أنَّ وجه الشبه في الكل هيئة منتزعة من أمور متعددة[2]. فإذا أردنا أن نتأمَّل ألفاظ الحديث فإننا نجد ذلك الثراء اللغويّ المتمثِّل في طواعية اللغة التي انتقاها رسول الله، فعبَّر عن المعاني المقصودة تعبيرًا ينمّ عن دقَّةٍ في اختيار الألفاظ ذات الدلالات المحدَّدة، فنتج عنه مهارة في الوصف.

ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الحلالَ بيّن، وإنَّ الحرام بيّن، وبينهما مُشتبهاتٌ لا يَعلمُهُنَّ كثيرٌ من الناس، فمَن اتقى الشّبهاتِ استبرأَ لدِينِه، وعِرْضِه، ومَن وقعَ في الشُّبهاتِ وقعَ في الحرام، كالراعي يَرعى حَولَ الحِمى، يُوشكُ أن يَرتَع فيه، ألا وإنَّ لكلّ ملِكٍ حِمى، ألا وإنَّ حِمى الله مَحارِمُه، ألا وإنَّ في الجسدِ مُضغة، إذا صَلَحَت، صلَح الجسدُ كلُّه، وإذا فَسَدت، فسَد الجسدُ كلُّه، ألا وهي القلب)[3]. ففي هذا الحديث تصويرٌ أدبيٌّ بلاغي للحلال والحرام والشبهات للتمييز بينها، ترغيبًا في الحلال، وتحذيرًا وترهيبًا من الحرام والشبهات، في أروع صورةٍ أدبية استُمِدَّت عناصرها من البيئة التي يُخالطها الإنسان ويعرفها الناس، تشبيهٌ تمثيليّ فائدتُه تجلية المعاني المعقولة بصور المحسوسات؛ لزيادة كشف المرادِ وإبراز الحقائق، فقد شُبِّه حال مَن وقع في الشبهات حيث يُخاف عليه أنه يقع في المحرمات، بحال الراعي الذي يرعى حول الحمى، فقد كانت العرب تحمي مراعي لمواشيها، وتخرج بالتوعّد بالعقوبة لمن قربها، فالخائف من عقوبة السلطان يبعد بماشيته عن ذلك الحِمى؛ لأنَّه إن قرب منه فالغالب الوقوع فيه؛ لأنه قد تنفردُ شاة ولا ينضبط، فالحذِر يجعل بينه وبين ذلك الحمى مسافةً يأمن فيها وقوع ذلك، وهكذا محارم الله عز وجل من القتل والربا والسرقة وشرب الخمر والقذف والغيبة والنميمة ونحو ذلك لا ينبغي أن يحوم حولها مخافة الوقوع فيها[4].

ومن خصائص التشبيهاتِ التمثيلية التي وردت في الأحاديث النبوية التشويقُ؛ فإنه بضرب الأمثال تتشوَّف النفس لمعرفة المزيد، فتتمكَّن المعاني عند مَن يعي كنهها. من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (مَثَل الجليس الصالح والجليس السوء، كمَثَلِ صاحب المِسكِ وكِيْرِ الحدّاد، لا يعدَمُك من صاحب المسك إما تشتريه، أو تجدُ ريحه، وكِيرُ[5] الحدّاد يَحرِقُ بدنَك، أو ثوبك، أو تجدُ منه ريحًا خبيثة)[6] شبَّه رسول الله صلَّى الله عليه وسلم الجليس الصالح والجليس السوء بالنسبة إلى ما يُكسبان المرء المُجالِس لهما بصاحب المِسك وصاحب الكِير، فحامل المسك إمّا أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، أي أنَّك لا بد من أن تنتفع منه بنفعٍ، وكذا الجليس الصالح إما أن يمنحَك حكمة أو تأخذها منه بطلبِ الإفادة والتعليم، أو تتلذَّذ بحسن حديثه وخلقه وآداب شمائله، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابَك بنار كيره وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة من مزاولة أعماله[7]، كذلك جليس السوء إما أن يُغريك بالسيئة أو تقتدي بسلوكه السيئ فتنحرف عن سواء السبيل. ففي الحديث الترغيبُ في مجالسة أهل الفضل، لأنهم يسعد بهم جليسهم، فإن كانوا علماءَ استفاد

منهم علمًا، وإن كانوا صلحاء استفاد منهم صلاحًا، وإن كانوا أبطالًا استفاد منهم شجاعة، لأنَّ الأخلاق والمواهب والعلوم والمعارف والمهارات والآداب يتأثَّر بعضها ببعض. وقد أبرز عليه الصلاة والسلام المعاني في صور مشاهدة محسوسة لتتجلى أمام العقول ويزداد الحريص على الامتثال والإجابة.

إنَّ أسلوب الحديث النبوي في عرض التمثيلات مشوّق في مضمونه وفي أدواته التعبيرية، فنبيّنا صلى الله عليه وسلم هو المعلم الذي لا ينطقُ عن الهوى، والمربي الناصح الذي لا يتوانى عن توضيح الفكرة وترسيخها في ذهن المتلقي.

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: (مَثَلِي ومَثَلُ ما بَعَثَنِي اللهُ، كمَثَل رجلٍ أتى قومًا فقال: رأيتُ الجيشَ بِعَيْنَيَّ، وإني أنا النذيرُ العُريان، فالنجاء النجاء، فأطاعَتْه طائفةٌ فأَدْلَجُوا على مَهلِهم فنجَوا، وكذَّبتْه طائفةٌ فصبَّحَهم الجيشُ فاجْتاحَهُم)[1]، وقوله: "أنا النذير العريان" مثلٌ سائر يُضرَب لشدَّة الأمر، ودنوّ المحذور، وبراءة المحذِّر عن التهمة[2]، أصله أنَّ الرجل إذا أراد إنذارَ قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزَعَ ثوبه وأشار به إليهم، إذا كان بعيدًا منهم، ليُخبرهم بما دَهَمَهُم، وأكثر ما يفعل هذا ربيئة القوم، وهو طليعتهم ورقيبهم، وإنما يفعل ذلك لأنه أَبْيَن للناظر وأغرب وأشنع منظرًا، فهو أبلغ في استحثاثهم في التأهب للعدوّ[3]. شبَّه رسول الله صلى الله عليه وسلَّم حاله وحال ما جاء به ومن جاء إليهم بحال رجل علم بقدوم جيش العدوّ، وهو راغب في إبعاد قومه عن كل مكروه، فأقبل ينصحهم باتخاذ وسائل النجاة، فمن خاف العدو فسار ليلًا لا ضرر معه ولا إزعاج فإنه ينجو من الهلاك، ومَن تقاعس واشتغل بالملاذ أدركه جيش الأعداء فهلك، وهكذا حال رسول الإسلام مع أمته، بيَّن لهم ما فيه خيرهم، وما فيه هلاكهم، فمن صدَّقه واستقام نجا من عذاب الله، وفاز بالسعادة الأبدية، ومن كذَّبه وطغى وآثر الحياة الدنيا فإنَّ الجحيم هي المأوى. فإذا تأمَلت هذا الحديث تجد أنَّ التشبيه التمثيلي قد أورِد بأسلوب مشوّق لافت للانتباه فيحصل عند المتلقي رغبة ملحَّة في بلوغ المقصد وفهم الغاية.

المبحث الثالث: التشبيه التمثيلي في الشعر العربي.

أبدع العرب في صوغ النصوص النثرية والشعرية عمومًا، وإذا ما حددت المجال بالتمثيلات الشعريَّة فإنك ستقف أمام كمٍّ هائل من التراث البلاغيّ، الذي يحتاج إلى تدبّر وروِيَّة؛ للتدقيق في أغراض التمثيل وأهدافه وجمالياته. ومن أشعار الجاهليين التي جاءت في قالب التمثيل قول كلثوم بن عمرو العتابي (البسيط):

تَبْنِي سَنَابِكُهَا مِنْ فَوْقِ أَرْؤُسِهِمْ سَقْفًا كَوَاكِبُهُ الْبِيضُ الْمَبَاتِيرُ[4]

"سَنَابِكُها": أي سَنَابِكُ الخيل، جمع "سُنْبُك" وهو طرف الحافر[5]. "البيض الْمَبَاتِير": أي: السُّيوف القواطع[6]. وجه الشبه هيئة منتزعة من متعدّد حيث شبَّه لمعان السيوف في الغبار بالكواكب في الليل، والتشبيه هنا جاء على شكل عناصر متلاقية في المشبّه، تقابل أمثالها في المشبه به، ويتحصّل من ذلك هيئة كليّةٌ في صورة.

ومنه قول امرئ القيس يصف جواده (الطويل):

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدبرٍ معًا كجُلمودِ صخر حطَّه السّيلُ من عَلِ[7]

أي أنَّ هذا الفرس مِكَرّ إذا أريد منه الكرّ، ومِفَرّ إذا أريد منه الفر، ومقبل إذا أريد منه إقباله، ومدبر إذا أريد منه إدباره، فالكرُّ والفر والإقبال والإدبار مجتمعة في قوّته، ثم شبهه في سرعة مَرّه وصلابة خلقه بحجر عظيم ألقاه السيل من مكان عالٍ إلى حضيض[1]. فوجه الشبه هو حركة شيء صلب حركات سريعة متواصلة.

وأسهب الشعر الجاهلي في وصف المرأة كقول طرفة بن العبد (الطويل):

كأنَّ حُدوجَ المالِكيَّة غُدوةً خَلايا سَفِينٍ بالنّواصِفِ مِن دَدِ[2]

"الحدوج": جمع حِدج وهو مركب من مراكب النساء[3]، "المالكية": منسوبة إلى بني مالك قبيلة من كلب. "الخلايا": جمع الخلية وهي السفينة العظيمة. "السفين": جمع سفينة، وقد يكون السفين واحدًا. "النواصف": جمع الناصفة وهي أماكن تتسع من نواحي الأودية مثال السكك وغيرها. و"دد": هو اسم وادٍ. يقول: كأنَّ مراكب العشيقة المالكية غدوة فراقها بنواحي وادي ددٍ سفن عظام، شبَّه الإبل وعليها الهوادج بالسفن العظام[4].

كما عُنِي بوصف الآلام والأحزان الإنسانية كقول النابغة الذبياني (الطويل):

فَبِتُّ كأنَّ العائداتِ فرَشْنَني هراسًا به يُعْلى فراشي ويُفْشَبُ[5]

"الهِراس": شجر كثير الشوك[6]، و"القشب": اسم للسم، وكذلك كل شيء يخلط به شيء يفسده[7]. فليلُ الشاعر مؤلم، لأنَّ الزائرات لم يجلبن له زهورًا كما اعتيدَ بل أحضرنَ له أشواكًا فُرِشت له، وهي تتجدَّد كلما كُسِرت من أثر التقلُّب من الأرق الذي يعانيه، فهذا تمثيل غاية في الجمال الفنيّ المعبِّر عن الحالة النفسيَّة للشاعر.

فيتبيَّن من هذه الأمثلة وغيرها أنَّ من أبرز سمات التشبيه في العصر الجاهلي:

1.العناية البالغة فيه من حيث اللفظ والمعنى، والحرص على إظهار التفصيلات والجزئيات الدقيقة.

2.تعدّد مصادر هذه التشبيهات، فمنها ما هو منتزع من مصادر طبيعية كالبحر والبر والنهر، ومنها ما هو منتزع من مصادر حيوانية وغير ذلك.

3.اهتمامه بعناصر الحركة والصوت واللون.

ولم تكن كثرة استعمال التشبيهات التمثيلية مقتصرة على العصر الجاهلي، بل تعدَّته إلى غيره، وقد كان للإسلام أثر كبير في الأدب إذ تأثَّرت لغتهم ببلاغة القرآن وفصاحته وإعجازه الذي أبهر العرب والعجم، وأورثهم أروع الأساليب وأرقها وأدقها وضوحًا وتصويرًا، وحافظ العرب على لغتهم من اللحن في عصر صدر الدعوة والعصر الأموي.

ومما ورد من التشبيه التمثيلي في العصر العباسي قول بشار بن برد (الطويل):

كأنَّ مثارَ النَّقْع فوق رؤوسِنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبُه[8]

النقع: الغُبَار الساطع المرتفع[1]. شبَّه صورة الْغُبَار المثار بحركة القتال والذي تتهاوى داخله أسْياف المقاتلين على أعدائهم بصورة لَيْلٍ تتهاوَى على الأرض كواكبه، ووجه الشبه الجامع بينهما الهيئة الحاصلة من هُوِيَّ أجرامٍ مشرقة مستطيلة مُتَنَاسبة المقدار، ومتفرقة، في جوانب شيءٍ مظلم، وتظهر فيها الحركة التي زادت التمثيل حسنًا[2]. ولدى التحليل نلاحظ أنّ التشبيه المركّب قد جاء في شكل عناصر متلاقية في المشبّه، تقابل أمثالها في المشبّه به، ويتحصّل من ذلك هيئة كلّيّةٌ في صورة.

ثم في العصر العباسيّ عُني الشعراء بالبحث عن المعاني الجديدة بجانب عنايتهم بجمال الألفاظ، فتفنَّنوا في الصور التي رسموها، فمن التشبيه التمثيلي في ذلك العصر قول أبي طالب الرقي (الكامل):

وكأنّ أجرام النجوم لوامعًا دُرَرٌ نُثِرَتْ على بساطٍ أزرقِ[3]

وجه الشبه هيئةٌ منتزعة من متعدّد، وهي الهيئة الحاصلة من تفرّق أجرامٍ متلألئَةٍ صغيرة في مرأى العيون، على سطح جسم أزرق صافي الزُّرْقة[4].

ومنه قول أبي فراس الحمداني يصف روضتَيْن مُزَيَّنَتَيْنِ بأنواع الزهور ذات الألوان المختلفة الزاهيَة، ويجري بينهما نَهْر صَافٍ (الكامل):

وَالْمَاءُ يَفْصِلُ بَيْنَ رَوْضِ الْـ زَّهْرِ في الشَّطَّيْنِ فَصْلا

كَبِسَاطِ وَشْيٍ جَرَّدَتْ أَيْدِي الْقُيُونِ عَلَيْهِ نَصْلا[5]

فالنهر بين الروضتين يُشبِه السّيف المجرّد الصقيل المطروح في وسط البساط الموشَّى، فوجه الشبه صورة مركبة من وجود شيء أبيض مستطيل حوله اخضرار فيه ألوان مختلفة، وهذا الوجه هو من روائع تشبيه التمثيل.

ومن ذلك قول الشاعر يصف الشمس أيضًا عند طلوعها (السريع):

والشمسُ من مشرِقِها قد بدَتْ مشرقةً ليس لها حاجبُ

كأنَّها بُوتَقةٌ أُحمِيَتْ يَجولُ فيها ذَهبٌ ذائبُ[6]

"البوتقة": وعاء على شكل قدح تصهر فيه الفلزات وغيرها من المواد[7]. جمع الشاعر هنا في وجه الشبه بين اللون والاستدارة والحركة، وما تُحدثه في اللون من تموج واضطراب، فالبوتقة إذا أُحميت وذاب فيها الذهب تشكَّل الذهب بشكلها في الاستدارة، وتحرك فيها تلك الحركة العجيبة، كأنه يهمُّ بأن ينبسط حتى يفيض من جوانبها لنعومته، ثم يعود فيهبط إلى داخل البوتقة، فيتجمع لمعان الذهب في مركز دائرته كما تجمع الضوء في مركز المرآة المستديرة، فبدا التشبيه بهذه الصورة الرائعة.

وكما تعتبر هيئة الحركة في التشبيه كذلك تعتبر هيئة السكون، فإذا وقع في شيء من هيئات الجسم في سكونه تركيب وتفصيل لطُفَ التشبيه وحسُن. ومن ذلك تصوير الشعراء هيئة المصلوب، وقد اختلفت الصور التي أبرز الشعراء فيها هذه الهيئة، فمنها قول الأخطل (البسيط):

كأنه عاشقٌ قد مدَّ صفحتَهُ يومَ الوداعِ إلى توديعِ مُرتحل

أو قائمٌ من نُعاسٍ فيه لوثَتُه مُواصل لتمطيه من الكسلِ[1]

فهنا شبه المصلوب في البيت الأول وهو قائم في الجذع، قد مالت عنقه إلى جانب كتفه، وفي وجهه صفرة الموت، بعاشق في موقف الوداع، ووجه الشبه هو هيئة السكون الحاصلة من القامة المنتصبة، والأذرع الممتدة، والأعناق المائلة، والوجوه المصفرة. وفي البيت الثاني شبهه بقائم من نعاس مسترخي العضلات، فأخذ يتمطَّى مادًّا ذراعيه إلى جانبيه، وعنقه إلى جهة صدره، فوجه الشبه إذن هو هيئة السكون الحاصلة من القامة المنتصبة، والأعناق المائلة، والأذرع الممتدة مدًّا متواصلًا[2].

ومن رائع التشبيهات التي يكون الوجه فيها مركبًا حسيًّا مكوَّنًا من اختلاط الألوان المجردة من الحركة، كقول ابن معتز يصف زهر النرجس (الطويل):

كأنَّ عيون النرجسِ الغَضِّ حولَنا مَداهنُ دُرٍّ حَشوهُنَّ عَقيقُ[3]

شبَّه الشاعر زهر النرجس بمداهن درٍّ حشوُهن عقيق، ووجه الشبه هو الهيئة المكونة من بياض قد التفَّ حول سواد أو حمرة.

أغراضه وجمالياته:

بعد هذا العرض لأمثلة مختلفة من التشبيه التمثيلي ودراستها وبيان معانيها ووجه الشبه في كلٍّ منها لا يسعني إلا أن أقف لأبيّن أغراضه وجمالياته. قال عبد القاهر الجرجاني: "واعلم أنّ ممّا اتفق العقلاءُ عليه أنّ التّمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرِضه ونُقِلت عن صُورها الأصلية إلى صورته، كساها أُبّهة وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشبّ من نارها، وضاعف قُواها في تحريك النّفوس لها، ودعا القُلوب إليها"[4]. فالتّمثيل من أقوى الوسائل إلى التفهيم، كيف لا وهو يبرز المعقولات في معرض المحسوسات الجلية؟، كما في قول الله عزّ وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ النور/39 وقد تقدَّم الكلام على تشبيه التمثيل في هذه الآية الكريمة.

فمن جمالياته: دقّةُ تصوير الألفاظ في محيطها الذي هي فيه، فتجد اللّفظة في موقعها قد أغنت عن الجمل الطّوال والتّعابير العديدة المتنوعة، وما ذلك إلاّ لدقّة تصويرها وحسن وقوعها في خارطة النّص. وهذه الدقّة في التّصوير نابعة من أصل الكلمة ومعناها، حيث نجد التّطابق الحاصل بين خصائص هذه المفردة وأدق جزئياتها الصّرفية والبلاغيّة من جهة، وبين المعنى العام الذي جاءت في سياقه هذه اللّفظة. من ذلك قول الباري جل وعلا: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الحقّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي

ضَلَالٍ﴾ الرعد/14 لقد كثر في الكلام العربي تشبيه الذي لَا يقبض على شيء ثابت بالقابض على الماء، لأنه لَا يستقر في يده؛ إذ لَا يمكن القبض عليه، وجاء القرآن الكريم بأبلغ مما عند العرب في هذا المثال الرائع في لفظه ومعناه، فشبه حال من يدعو غير اللَّه بحال من يبسط يده للماء ليرتفع إلى فمه وما هو من شأنه أن يبلغه؛ ولذا كان النفي باسم الفاعل، فنُفِي عن الماء ذلك الوصف، ونَفيُ الوصف أبلغ من نفي الفعل. شُبِّه حال من يدعو ما لا يضر ولا ينفع ولا يُجيب، ولا يدرك معنى الطلب أو العبادة بحال العطشان الذي أرهقه العطش، فيطلب من الماء أن يرتفع إلى فمه إذا بسط يده، ومد أنامله إليه، والماء لا يجيء إليه، ولا يستطيع أن يتناول منه بهذه الطريقة ما يطفئ ظمأه[1]. ومنها تقريب المعاني إذ هو أحد أهمّ الوسائل التصويرية حيث يرمي إلى رسم الصورة كما تحس بها النفس، في جوّ حسيّ مفعَم بالتصوير والتخيل وعقد المقارنات، فتتخذ الكلمات في التشكيل شكلًا دلاليًّا متميّزًا بحيث تصبح الدلالات الحسيّة والخيالية والمعنوية متعانقة مترابطة، فإذا تأمَّلت في قول الشاعر(السريع):

والشمسُ من مشرِقِها قد بدَتْ مشرقةً ليس لها حاجبُ

كأنَّها بُوتَقةٌ أُحمِيَتْ يَجولُ فيها ذَهبٌ ذائبُ[2]

تجد طرافة الانتقال إلى المشبه به، بانتزاع صورة تبرز عند عقد المشابهة بين المشبه والمشبه به، وكلما كان هذا الانتقال طريفًا نادرًا ممتزجًا بالخيال كلَّما ازداد روعة وبهاء.

ومنها دقة الوصف بسبب الامتزاج بين الحس والعقل وبين الواقع والخيال في كثير من التمثيلات، وذاك يعطي القارئ والمطلع عليها رغبة في سبر أغوار المعاني، فيزداد المعنى وضوحًا وتأكيدًا، كقول بشار بن برد (الطويل):

كأنَّ مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبُه[3]

ومنها إكساب النص الأدبيّ الحيويَّة والتجدّد، لا سيَّما أنَّ التمثيلات مستمدَّة غالبها من الطبيعة التي تُمثِّل المسرح الذي يُمثَّل عليه الأدب، وكلما ظهرت عناصر الطبيعة في التمثيل برزت ألفة المعنى للقارئ، ولا شكّ في أنَّ هذا المسلك من أبلغ مسالك التعبير اللغوي وأرفعها شأنًا وأبعدها بيانًا وتأثيرًا، إذ يتمّ المراد من التمثيل بشكلٍ جليّ إذا كان المشبَّه به ملموسًا لدى السامع ومجرّبًا عنده، فكيف إن كان مع هذا علاقته به وطيدة قوية، من ذلك قول أبي فراس الحمداني (الكامل):

وَالْمَاءُ يَفْصِلُ بَيْنَ رَوْضِ الْـ زَّهْرِ في الشَّطَّيْنِ فَصْلا

كَبِسَاطِ وَشْيٍ جَرَّدَتْ أَيْدِي الْقُيُونِ عَلَيْهِ نَصْلًا[4]

وقد تقدَّم بيانه.

الخاتمة والتوصيات:

هذه الورقات ليست في جوهرها وحقيقة أمرها إلاّ بَذرًا بسيطًا، في خضم حقل رحب فسيح من العربية، وكان ختام هذا التّطواف بذكر أهم النتائج المتوصّل إليها من خلال هذا البحث:

1.إنّ دراسة التشبيهات التمثيلية في القرآن لها أثر كبير في فهم تفسير القرآن مع ما تحتويه من دلالات، وتوجيهات بأسلوب مؤثر ومقنع.

2.إن عناصر التشبيهات التمثيلية في الشعر من العصر الجاهلي حتى العباسي جزء أساسي لا يتم المعنى بدونه، فإذا سقطت انهار المعنى.

3.إنَّ التشبيه التمثيلي منه ما يقرب مأخذه ويسهل الوصول إليه ومنه ما يحتاج فيه إلى قدر من التأمل ومنه ما يدق ويغمض حتى يحتاج في استخراجه وبيانه إلى فضل روية.

أما أهم التوصيات التي أبانت عنها هذه الدراسة فهي:

1. الكتابة بأسلوب يثير شغف قارئ العربية من خلال إظهار جمال مباحث البيان التي منها التشبيه التمثيلي ومدى ارتباطها الوثيق بالمعاني.

2.العمل على محاولة حصر الآيات التي ورد فيها التشبيه التمثيلي ودراستها بشكل أعمق وبيان إعجازها ومواضع الجمال فيها.

3.تتبّع أبواب بلاغية أخرى على هذا النمط لم تُطرَق كثيرًا ولم يتعرَّض الباحثون لدراستها كبديع التحلية والإلغاز.

الهوامش:

[1] المبرد محمد بن يزيد، 1417هـ، **الكامل في اللغة والأدب**، الطبعة الثالثة، القاهرة، دار الفكر العربي، القاهرة (70/3).

[2] ا الجوهري إسماعيل بن حماد، 1407هـ، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، الطبعة الرابعة، بيروت، دار العلم للملايين (2236/6).

[3] القيرواني الحسن بن رشيق، 1401هـ، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، الطبعة الخامسة، بيروت، دار الجيل (286/1).

[4] هو عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، واضع أصول البلاغة من أئمة اللغة، أخذ عن أبي الحسين محمد بن حسن، ومن تلاميذه علي بن أبي يزيد، من مصنفاته "أسرار البلاغة" و"إعجاز القرآن"، توفي سنة 471هـ. الأنصاري عبد الرحمن بن محمد، 1405هـ، **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، الطبعة الثالثة، الأردن، مكتبة المنار (ص/264) وصلاح الدين محمد بن شاكر، د.ت، **فوات الوفيات**، د.ط، بيروت، دار صادر (297/1).

[5] هو يوسف بن أبي بكر السكاكي الخوارزمي، عالم بالعربية والأدب. ولد في خوارزم سنة 555هـ، أخذ عن سديد الخياطي، ومن تلاميذه مختار بن محمود الزاهدي، من كتبه "مفتاح العلوم" و"رسالة في علم المناظرة"، توفي سنة 626هـ. الحموي ياقوت بن عبد الله، 1414هـ، **معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، الطبعة الأولى، بيروت، دار الغرب الإسلامي (2846/6) ابن العماد عبد الحي بن أحمد، 1406هـ، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، د.ط، بيروت، دار ابن كثير (122/5).

[6] هو محمد بن عبد الرحمن القزويني، قاض من أدباء الفقهاء. ولد في الموصل سنة 666هـ، من مشايخه شمس الدين الأيكي، من كتبه "تلخيص المفتاح" و"الإيضاح"، توفي سنة 739 هـ. الصفدي خليل بن أيبك، 1420هـ، **الوافي بالوفيات**، د.ط، بيروت، دار إحياء التراث (199/3) وابن العماد عبد الحي، **شذرات الذهب** (300/4).

[7] الجرجاني عبد القاهر، د.ت، **أسرار البلاغة**، د.ط، القاهرة، مطبعة المدني (ص/236).

[8] السكاكي يوسف بن أبي بكر، 1407هـ، **مفتاح العلوم**، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية (ص/346).

[9] القزويني محمد بن عبد الرحمن، 1430هـ، **الإيضاح في علوم البلاغة**، د.ط، بيروت، المكتبة العصرية (ص/243).

10 القزويني محمد بن عبد الرحمن، **الإيضاح في علوم البلاغة** (ص/244).

11 النسفي عبد الله بن أحمد، 1419هـ، **تفسير النسفي**، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكلم الطيب (58/1).

12 الطبري محمد بن جرير، 1420هـ، **جامع البيان في تأويل القرآن**، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة (633/22).

13 السمرقندي نصر بن محمد، د.ت، **بحر العلوم**، د.ط، د.م، د.ن (349/2).

14النسفي عبد الله بن أحمد، **تفسير النسفي** (58/1).

15 الخلوتي إسماعيل حقي بن مصطفى، د.ت، **روح البيان**، د.ط، بيروت، دار الفكر (72/1).

16 النسفي عبد الله بن أحمد، **تفسير النسفي** (16/2).

17 الأندلسي أبو حيان محمد بن يوسف، 1420هـ، **البحر المحيط في التفسير**، د.ط، بيروت، دار الفكر (122/1).

18 درويش محيي الدين بن أحمد، 1415هـ، **إعراب القرآن وبيانه**، الطبعة الرابعة، دمشق، دار اليمامة (44/1).

19 عتيق عبد العزيز، 1405هـ، **علم البيان**، د.ط، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع (ص/88).

20 حَبَنَّكة عبد الرحمن بن حسن، 1416هـ، **البلاغة العربية**، الطبعة الأولى، دمشق، دار القلم (128/2).

21 الزبيدي محمد بن محمد، د.ت، **تاج العروس من جواهر القاموس**، د.ط، الكويت، دار الهداية (52/3).

22 الزبيدي محمد بن محمد، **تاج العروس من جواهر القاموس** (103/22).

23 الرازي محمد بن عمر، 1420هـ، **مفاتيح الغيب**، الطبعة الثالثة، بيروت، دار إحياء التراث العربي (399/24).

24 هذه الآية من الآيات المتشابهات، ومعناه أنه سبحانه منوِّر الأنوار ومبدعها وخالقها. الرازي محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب** (116/1)، ويقال في تفسيرها أيضًا: الله سبحانه هادي أهل السموات والأرض. الطبري محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن** (177/19).

25 الرازي محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب** (386/23).

26 المصدر السابق (57/25).

27 البخاري محمد بن إسماعيل، 1422هـ، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه و أيامه = صحيح البخاري**، الطبعة الأولى، بيروت، دار طوق النجاة (528) (112/1).

28 القسطلاني أحمد بن محمد، 1323هـ، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، الطبعة السابعة، مصر، المطبعة الكبرى الأميرية (484/1).

29 العيني بدر الدين محمود بن أحمد، د.ت، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، د.ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي (16/5).

30 صِلاب الأرض التي تمسك الماء ولا تشربه سريعًا. الزبيدي محمد بن محمد، **تاج العروس من جواهر القاموس** (139/2).

31 البخاري محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري** (79) (27/1).

32 العيني بدر الدين محمود بن أحمد، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** (80/2).

33 القسطلاني أحمد بن محمد، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري** (179/1).

34 النووي محيي الدين يحيى بن شرف، 1392هـ، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، الطبعة الثانية، بيروت، دار إحياء التراث العربي (107) (1219/3).

35 القشيري محمد بن علي المعروف بابن دقيق العيد، 1424هـ، **شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية**، الطبعة السادسة، بيروت، مؤسسة الريان (ص/47).

36 زِقٌّ يَنفخُ فيه الحدّاد، أو جِلد غليظ ذو حافات. **الزبيدي محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس** (83/14).

37 البخاري محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري** (2101) (63/3).

38 الصنعاني محمد بن إسماعيل، 1423هـ، **التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغير**، الطبعة الأولى، الرياض، مكتبة دار السلام (199/4).

39 البخاري محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري** (6482) (101/8).

40 الطيبي الحسين بن عبد الله، 1417هـ، **شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بالكاشف عن حقائق السنن**، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز (612/2).

41 النووي محيي الدين يحيى بن شرف، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** (48/15).

42 الجرجاني عبد القاهر، **أسرار البلاغة** (ص/174).

43 الفيروزابادي محمد بن يعقوب، 1426هـ، **القاموس المحيط**، الطبعة الثامنة، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع (ص/944).

44 الباتر: السيف القاطع. الأنصاري محمد بن مكرم ابن منظور، 1414هـ، **لسان العرب**، الطبعة الثالثة، بيروت، دار صادر (37/4).

45 الكندي امرؤ القيس، 1425هـ، **ديوان امرئ القيس**، الطبعة الثانية، بيروت، دار المعرفة (ص/54).

46 الزوزني حسين بن أحمد، 1423هـ، **شرح المعلقات السبع**، الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي (ص/64).

47 البكري طَرَفَة بن العَبْد، 1423هـ، **ديوان طرفة بن العبد**، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الكتب العلمية (ص/19).

48 الأزهري محمد بن أحمد، 2001م، **تهذيب اللغة**، الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي (79/4).

49 الزوزني حسين بن أحمد، **شرح المعلقات السبع** (ص/90).

50 النابغة الذبياني زياد بن معاوية، د.ت، **ديوان النابغة الذبياني**، د.ط، د.م، د.ن (ص/73).

51 الفراهيدي الخليل بن أحمد، د.ت، **كتاب العين**، د.ط، بيروت، دار ومكتبة الهلال (6/4).

52 الأزهري محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة** (263/8).

53 ابن برد بشار، د.ت، **ديوان بشار بن برد**، د.ط، د.م، د.ن (318/1).

54 الزبيدي محمد بشن محمد، **تاج العروس من جواهر القاموس** (273/22).

55 حبَنَّكة عبد الرحمن بن حسن، **البلاغة العربية** (188/2).

56 النويري أحمد بن عبد الوهاب، 1423هـ، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية (42/7).

57 حبَنَّكة عبد الرحمن بن حسن، **البلاغة العربية** (189/2).

58 الحمداني أبو فراس، د.ت، **ديوان أبي فراس**، د.ط، مصر، مكتبة الشرق (ص/90) بلفظ "خز" بدل "وشي".

59 الجرجاني عبد القاهر، **أسرار البلاغة** (ص/181).

60 عمر أحمد، 1429هـ، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية، عالم الكتب (260/1).

61 هذان البيتان للأخطل ولم أجدهما في ديوانه. المرزباني محمد بن عمران، 1402هـ، **معجم الشعراء**، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية (ص/432).

62 عوني حامد، د.ت، **المنهاج الواضح للبلاغة**، د.ط، مصر، المكتبة الأزهرية للتراث (140/3).

63 هذا البيت لابن معتزّ ولم أجده في ديوانه. الجرجاني عبد القاهر، **أسرار البلاغة** (ص/95).

64 الجرجاني عبد القاهر، **أسرار البلاغة** (ص/115).

65 أبو زهرة محمد بن أحمد، د.ت، **زهرة التفاسير**، د.ط، مصر، دار الفكر العربي (3916/9).

66 الجرجاني عبد القاهر، **أسرار البلاغة** (ص/181).

67 ابن برد بشار، **ديوان بشار بن برد** (318/1).

68 الحمداني أبو فراس، **ديوان أبي فراس** (ص/90) بلفظ "خز" بدل "وشي".

فهرس المصادر والمراجع

1 الأزهري محمد بن أحمد، 2001م، تهذيب اللغة، الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

2 الأندلسي أبو حيان محمد بن يوسف، 1420هـ، البحر المحيط في التفسير، د.ط، بيروت، دار الفكر.

3 الأنصاري عبد الرحمن بن محمد، 1405هـ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، الطبعة الثالثة، الأردن، مكتبة المنار.

4 الأنصاري محمد بن مكرم ابن منظور، 1414هـ، لسان العرب، الطبعة الثالثة، بيروت، دار صادر.

5 البخاري محمد بن إسماعيل، 1422هـ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، الطبعة الأولى، بيروت، دار طوق النجاة.

6 ابن برد بشار، د.ت، ديوان بشار بن برد، د.ط، د.م، د.ن.

7 البكري طَرَفَة بن العَبْد، 1423هـ، ديوان طرفة بن العبد، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الكتب العلمية.

8 الجرجاني عبد القاهر، د.ت، أسرار البلاغة، د.ط، القاهرة، مطبعة المدني.

9 الجوهري إسماعيل بن حماد، 1407هـ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الطبعة الرابعة، بيروت، دار العلم للملايين.

10 حَبَنَّكة عبد الرحمن بن حسن، 1416هـ، البلاغة العربية، الطبعة الأولى، دمشق، دار القلم.

11 الحمداني أبو فراس، د.ت، ديوان أبي فراس، د.ط، مصر، مكتبة الشرق.

12 الحموي ياقوت بن عبد الله، 1414هـ، معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، الطبعة الأولى، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

13 الخلوتي إسماعيل حقي بن مصطفى، د.ت، روح البيان، د.ط، بيروت، دار الفكر.

14 درويش محيي الدين بن أحمد، 1415هـ، إعراب القرآن وبيانه، الطبعة الرابعة، دمشق، دار اليمامة.

15 الرازي محمد بن عمر، 1420هـ، مفاتيح الغيب، الطبعة الثالثة، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

16 الزبيدي محمد بن محمد، د.ت، تاج العروس من جواهر القاموس، د.ط، الكويت، دار الهداية.

17 أبو زهرة محمد بن أحمد، د.ت، زهرة التفاسير، د.ط، مصر، دار الفكر العربي.

18 الزوزني حسين بن أحمد، 1423هـ، شرح المعلقات السبع، الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

19 السكاكي يوسف بن أبي بكر، 1407هـ، مفتاح العلوم، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية.

20 السمرقندي نصر بن محمد، د.ت، بحر العلوم، د.ط، د.م، د.ن.

21 الصفدي خليل بن أيبك، 1420هـ، الوافي بالوفيات، د.ط، بيروت، دار إحياء التراث.

22 صلاح الدين محمد بن شاكر، د.ت، فوات الوفيات، د.ط، بيروت، دار صادر.

23 الصنعاني محمد بن إسماعيل، 1423هـ، التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغير، الطبعة الأولى، الرياض، مكتبة دار السلام.

24 الطبري محمد بن جرير، 1420هـ، جامع البيان في تأويل القرآن، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة.

25 الطيبي الحسين بن عبد الله، 1417هـ، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بالكاشف عن حقائق السنن، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز.

26 عتيق عبد العزيز، 1405هـ، علم البيان، د.ط، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع.

27 ابن العماد عبد الحي بن أحمد، 1406هـ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، د.ط، بيروت، دار ابن كثير.

28 عمر أحمد، 1429هـ، معجم اللغة العربية المعاصرة، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية، عالم الكتب.

29 عوني حامد، د.ت، المنهاج الواضح للبلاغة، د.ط، مصر، المكتبة الأزهرية للتراث.

30 العيني بدر الدين محمود بن أحمد، د.ت، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، د.ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

31 الفراهيدي الخليل بن أحمد، د.ت، كتاب العين، د.ط، بيروت، دار ومكتبة الهلال.

32 الفيروزابادي محمد بن يعقوب، 1426هـ، القاموس المحيط، الطبعة الثامنة، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

33 القزويني محمد بن عبد الرحمن، 1430هـ، الإيضاح في علوم البلاغة، د.ط، بيروت، المكتبة العصرية.

34 القسطلاني أحمد بن محمد، 1323هـ، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، الطبعة السابعة، مصر، المطبعة الكبرى الأميرية.

35 القشيري محمد بن علي المعروف بابن دقيق العيد، 1424هـ، شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، الطبعة السادسة، بيروت، مؤسسة الريان.

36 القيرواني الحسن بن رشيق، 1401هـ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، الطبعة الخامسة، بيروت، دار الجيل.

37 الكندي امرؤ القيس، 1425هـ، ديوان امرِئ القيس، الطبعة الثانية، بيروت، دار المعرفة.

38 المبرد محمد بن يزيد، 1417هـ، الكامل في اللغة والأدب، الطبعة الثالثة، القاهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.

39 المرزباني محمد بن عمران، 1402هـ، معجم الشعراء، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية.

40 النابغة الذبياني زياد بن معاوية، د.ت، ديوان النابغة الذبياني، د.ط، د.م، د.ن.

41 النسفي عبد الله بن أحمد، 1419هـ، تفسير النسفي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكلم الطيب.

42 النووي محيي الدين يحيى بن شرف، 1392هـ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الطبعة الثانية، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

43 النويري أحمد بن عبد الوهاب، 1423هـ، نهاية الأرب في فنون الأدب، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية.